(٢١)
أوجه الخلاف بين مصطفى كامل وأستاذه النديم

١ - رغم أن مصطفى كامل تلميذ عبد الله النديم نادى بأن تكون مصر للمصريين وفضل الوطنية المصرية عما عداها فقد دعا إلى تبعية مصر لتركيا وضرورة التمسك بالرابطة العثمانية، بقوله: " ويجب على المصريين أن يتمسكوا أشد التمسك بالرابطة الأكيدة التى تربطهم بالدولة العثمانية، بل وصل به الأمر أن طلب من السلطان إرسال جيوشه إلى مصر لإخراج الإنجليز منها واحتلالها باعتبارها ولاية عثمانية، كما أعلن فى خطبة له بباريس بمناسبة عيد جلوس السلطان فى ٣١ من أغسطس ١٨٩٥ أن الراية العثمانية هى الراية الوحيدة التى يجب أن نجتمع حولها.

ومع أنه من الصعب أن ينكر أحد أن مصطفى كامل كان لديه

الحماسة الدينية تجاه الدولة العثمانية، فإننا نرى أن مصطفى كامل قد رغب فى محاسنة الدولة العثمانية حتى يطمئن إلى أنها لن تنضم إلى إنجلترا فى سياستها الاستعمارية ضد أمانى المصريين، وحتى يثبت بطلان الاحتلال الإنجليزى، وعدم شرعيته لذلك فإنه عمل فى خطين متوازيين هما الوطنية المصرية والجامعة الإسلامية مع تغليب التيار الثانى بشرط التمسك باستقلال مصر الداخلى كما قررته معاهدة لندن ١٨٤٠ وضمنته الفرمانات السلطانية.

لقد كان الفرق شاسعا بين سياسة النديم وسياسة مصطفى كامل تجاه الدولة العثمانية، فالنديم فضل الولاء للوطنية عن الارتباط بجامعة الدين وعندما تعارضت مصلحة مصر مع مصلحة الدولة العثمانية وقف النديم بجانب مصر بل وهاجم سياسة الدولة العثمانية تجاه القضية المصرية ورفض أن تتنازل مصر عن الامتيازات التى نالتها باستقلالها فى شئونها الداخلية، بينما نجد مصطفى كامل يطلب من السلطان إرسال جيوش عثمانية لاحتلال مصر وإخراج الإنجليز منها، أى أنه لا يمانع فى استبدال احتلال عثمانى باحتلال بريطانى، ويفند مصطفى كامل ذلك بقوله: " إننا "نتبع ناموس الطبيعة القاضى بأن من اتفقت مصالحهم يجتمعون ويتناصرون".

لقد دافع مصطفى كامل عن فكرة الجامعة الإسلامية وضرورة وحدة المسلمين فى ظل الخلافة العثمانية فى حين كان النديم ينادى بالوحدة الشرقية التى تضم الأديان التى يعتنقها الشرقيون كافة .

٢- لقد اعتمد النديم فى نضاله الوطنى على الطبقات الشعبية وخصوصا الفلاحين حيث إنهم غالبية الشعب المصرى فى حين أن دعوة مصطفى كامل اقتصرت على المثقفين فى المدن وساعد على ذلك أن دعوته لتوثيق روابط مصر مع تركيا جعلت الفلاحين الذين ذاقوا الأمرين من العسف التركى يتجنبون دخول حزبه ، ولن يتغير ذلك الوضع إلا بعد حادثة دنشواى التى كانت فرصة لتوصيل صوت مصطفى كامل إلى آذان الفلاحين فهتف الفلاح وابنه وامراته باسمه وراء المحراث وفى طريق القرية وعلى سطح الدار .

٣- أن مصطفى كامل استطاع عرض قضية بلاده على الرأى العام العالمى واكتساب الأنصار لها فى الخارج ؛ وذلك لمقدرته على التحدث بالفرنسية ، ولأن ظروف العمل الوطنى كانت تحتم عليه ذلك ، كما أنشأ جريدتين أفرنكيتين إحداهما بالفرنسية وهى ليتندار إجبسيان L'Etendard Egyptien والأخرى بالإنجليزية وهى ذى إجبشين إستاندارد The Egyptian Estandard بينما

لم يتمكن النديم من القيام بذلك؛ أولا لأنه لا يجيد التحدث باللغات الأجنبية وثانيا لأن ظروف الكفاح الوطنى حتمت عليه الوجود بمصر سواء فى مدة الثورة العرابية أو ما بعدها.

٤- أن مصطفى كامل كان عفيف القلم واللسان يطالب بحقوق بلاده بأسلوب بعيد عن السباب والشتائم وقد عبر عن ذلك بقوله: 'إننا نعلم أن الصحافى إذا جعل الشتائم فى مواد جريدته أنزل نفسه بنفسه من مقام الواعظ الصادق والناصح المرشد والقائد لحركة الأفكار والميول فى الأمة إلى وظيفة الصعلوك الحقير الذى ينبح ليله ونهاره كما تنبح الكلاب»، بينما كان للنديم مواقف غير ذلك، وخصوصا فى حقبة الثورة العرابية.

لقد عاش النديم معتل الصحة كثير الأمراض وكذلك كان مصطفى كامل ومع ذلك فلم يعرف أى منهما طعما للراحة ولم يعط أى منهما لبدنه حقه بل كانا يجدان اللذة فى العمل بيد أن تكوين كل منهما الضعيف لم يتناسب مع روحيهما القويتين اللتين يصعب ترويضهما على الاستكانة أو المهادنة، فواصلا بذل الجهود فى سبيل مصر تارة فى مرح وتارات أخرى فى ترح حتى استنفدا حيويتهما.

لقد مات النديم بعد أن أنشب الدرن الرئوى أظفاره فى جسده

وذلك ما حدث مع مصطفى كامل حيث يذكر محمد فريد أنه لما عاد مصطفى كامل من أوربا " ذهب لمقابلته بالإسكندرية على الباخرة وكان الدكتور رمضان بانتظاره باللوكاندة ، ولما رآه مصفرا أخضر اللون قال لى همسا إن حالته الصحية غير مرضية ولا بد أن يكون مصابا بالسل" .

لقد كان لاتصال مصطفى كامل بالنديم أكثر من معنى " وكان أجل هذه المعانى وأسماها اتصال الثورات وانتقال الشعلة من يد إلى يد ومن جيل إلى جيل ، لا تخبو ولا تسقط ، فقد كان مصطفى كامل تجسيدا لروح الثورة الحقيقية فى حركة عرابى ، فالتقطها من أعظم ثوارها عبد الله النديم .